الملحق الأول

نهاية بابك الخرمي(١)

وقد وصف المسعودي نهاية بابك الخرمي وصفاً مسهباً فقال : « فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه ، هرب من موضعه وزال عن مكانه ، فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه ، وقد تزيا بزى السفر وأهل التجارة والقوافل ، فنزل موضعاً من بلاد أرمينية على بعض المياه ، وبالقرب منهم راعى غنم ، فابتاعوا منه شاة وشاءوا شراء شيء من الزاد لهم فمضى من فوره إلى سهل بن سنباط ، فأخبره الخبر وقال : وهو بابك لاشك فيه .

وقد كان الأفشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن حبله خشى أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع ، أو ينضاف إلى بعض الأمم القاطنة ببعض تلك الديار ، فيكثر جمعه وينضاف إليه فلال عسكره فيرجع إلى ما كان من أمره ، فأخذ الطرق ، وكاتب البطارقة في الحصون والمواضع من بلاد أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وضمن في ذلك الرغائب . فلما سمع سهل ابن سنباط من الراعي ما أخبره به ، سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه ، حتى أتى الموضع الذي به بابك . فترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك وقال له : أيها الملك ! قم إلى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك فيه الله من عدوك ، فسار كعه إلى أن أتى قلعته ، وأجلسه على سريره ، ورفع منزلته ووطأ له منزلته ومن معه ، وقدمت المائدة وقعد يأكل معه ، فقال له بابك بجهله وقلّة معرفته بما هو فيه وما دفع إليه : أمثلك يأكل معي ؟ فقام سهل عن المائدة وقال أخطأت أيُّها الملك ، وأنت أحق من احتمل عبده إذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه بحداد وقال له : مد رجليك أيُّها الملك وأوثقه بالحديد ، فقال له بابك : أغدروا يا سهل ؟ قال : يابن الخبيثة ؟ إنَّما أنت راعي غنم وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات ؟ وقيد من كان معه وأرسل إلى الأفشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده ، فسرح إليه الأفشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة ، يُقال له بوغادة ، فتسلمه ومن معه ، وأتى به إلى الأفشين ، ومعه ابن سنباط ، فرفع الأفشين منزلة سهل ، وخلع عليه وجمله وتوجه ، وقاد بين يديه وأسقط عنه الخراج ، فأطلقه ، وأطلق الطيور إلى

(١) المسعودي : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

المعتصم ، وكتب إليه بالفتح . فلما وصل إليه ذلك ضج الناس بالتكبير ، وعمهم الفرح وأظهروا السرور ، وبثت الكتب إلى الأمصار بالفتح ، وقد كان أفنى عساكر السلطان ، فسار الأفشين ببابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى ، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتلقى الأفشين هارون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ، ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا ، وبعث إليه بالفيل الأشهب ، وكان قد حمله بعض ملوك الهند إلى المأمون وكان فيلاً عظيماً ، وقد وصفناه ، وحمل إلى الأفشين دراعة من الديباج الأحمر ، منسوجة بالذهب ، وقد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ، ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة ، وقد نظم على القلنسوة على رأس بابك ، وعلى رأس أخيه نحوها ، وقدم إليك الفيل وإلى أخيه الناقة ، فلما رأى صورة الفيل استعظمه ، وقال : ما هذه الدابة العظيمة ! واستحسن الدراعة وقال : هذه كرامة ملك عظيم جليل إلى أسير ، فقد العز ذليل أخطأته الأقدار ، وزالت عنه الجدود وتورطته المحن ، إنها الفرحة تقتضي ترحة ، وضرب له المصاف صفين ، في الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات والبنود من القاطول إلى سامرا ، مدد واحد متصل غير منفصل ، وبابك على الفيل ، وأخوه وراءه على الناقة والفيل يخطر بين الصفين به ، وبابك يخطر ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال والعدد ، ويظهر الأسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم ، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم ، وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ولا مثل تلك الزينة ، ودخل الأفشين على المعتصم ، فرفع منزلته وأعلى مكانه ، وأتى ببابك فطوف به بين يديه ، فقال له المعتصم : أنت بابك ؟ فلم يجب وكررها عليه مراراً وبابك ساكت ، فمال إليه الأفشين وقال له : الويل لك ! أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت ؟ فقال : نعم أنا بابك ، فسجد المعتصم عند ذلك ثم قال : جردوه ، فسلبه الخدام ما عليه من الزينة ، وقطعت يمينه وضرب به وجهه ، وفعل مثل ذلك يساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ بالنطع في دمه .

وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه ، وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل القلب ليكون أطول لعذابه ففعل .

ثم أمر بجز لسانه وصلب أطرافه مع جسده ، ثم حمل الرأس إلى مدينة السلام ونصب على الجسر ، وحمل إلى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها ، لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظم شأنه وكثرة جنوده وإشرافه على إزالة ملك وقب ملة وتبديلها .

الملحق الثاني

محاكمة الأفشين[١]

« وذكر عن هارون بن عيسى بن منصور أنه قال : شهدت دار المعتصم وفيها أحمد بن أبي دؤاد وإسحاق بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيّات ، فأتى بالأفشين ، ولم يكن بعد في الحبس الشديد ، فأحضر قوم من الوجوه لتبكيت الأفشين بما هو عليه ، ولم يترك في الدار أحد من أصحاب المراتب إلاّ ولد المنصور ، وصرف الناس .

وكان المناظر له محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان الذين أحضروا المازيار صاحب طبرستان والموبذ والمرزبان بن تركش ، وهو أحد ملوك السغد ، ورجلان من أهل السغد ، فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين ، وعليهما ثياب رثة ، فقال لهما محمد بن عبد الملك : ما شأنكما ؟ فكشفا عن ظهرهما وهي عارية من اللحم ، فقال له محمد : تعرف هذين ؟ قال نعم ! هذا مؤذن ، وهذا إمام بنيا مسجداً بأشر وسنة ـ فأخرجا الأصنام واتخذاه مسجداً ، فضربتهما على هذا ألفاً ألفاً ، لتعديهما القوم من بيعتهم ، فقال له محمد : ما كتاب عندك قد زينته بالذهب والجوهر والديباج فيه الكفر بالله ؟ قال : هذا كتاب ورثته عن أبي ، فيه أدب من العجم ، وما ذكر من الكفر ، فكنت أستمتع منه بالأدب وأترك ما سوى ذلك ، ووجدته محلي ، فلم يضطرني الحاجة إلى أخذ الحلية منه ، فتركته على حاله ككتاب كليلة ودمنة وكتاب مزدك في منزلك فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام . ثم تقدم الموبذ فقال : إنّ هذا كان يأكل المخنوقة ويحملني على أكلها ويزعم أنها أرطب لحماً من المذبوحة . وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء يضرب وسطها بالسيف ، ثم يمشي بين نصفيها ويأكل لحمها وقال لي يوماً : إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه حتى أكلت لهم الزيت وركبت الجمل ولبست النعل ، غير أني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة ، يعني لم يطل ولم يختتن ، فقال الأفشين : خبروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام ثقة هو في دينه ؟ وكان الموبذ مجوسياً ، أسلم بعد على يد المتوكل ونادمه ، قالوا لا ، قال فما معنى قبولكم شهادة من لا تثقون به ولا تعدلونه ؟ ثم أقبل على الموبذ فقال : هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوة تطلع على منها وتعرف أخباري منها ؟

(١) الطبري جـ ١٠ ص٣٦٥ ـ ٣٦٧ .

قال : لا ! قال : أفليس كنت أدخلك إلى وابنك سرى ، وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها ؟ قال : نعم ! قال : فلست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك . وإذا أفشيت : هل تعرف هذا ؟ قال : لا فقيل للمرزبان : هل تعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا الأفشين : يا طويل اللحية ما تقول ؟ قال : كيف يكتب إليك أهل مملكتك ؟ قال : نعم ، هذا الأفشين ، قالوا له : هذا المرزبان ، فقال له المرزبان : يا ممخرق كم تدافع وتموه ؟ قال له الأفشين : ياطويل اللحية ما تقول ؟ قال : كيف يكتب إليك أهل مملكتك ؟ قال : كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي ، قال : فقل قال لا أقول ، فقال المرزبان : أليس يكتبون إليك بكذا وكذا بالأشروسنية ؟ قال : بلى ، قال : أفليس تفسيره بالعربية إلى إله الآلهة من عبده فلان بن فلان ؟ قال : بلى ! قال محمد بن عبد الملك : والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا ؟ فما أبقيت لفرعون حين قال لقومه أنا ربكم الأعلى ؟ قال : كانت هذه عادة القوم لأبي وجدي ولى قبل أن أدخل في الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسي دونهم فتفسد على طاعتهم ، فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب : ويحك يا خيذر ؟ كيف تحلف بالله لنا ، فنصدقك ونصدق يمينك ، ونجريك مجرى المسلمين وأنت تدعى ما ادعى فرعون ؟ قال : يا أبا الحسين ! هذه سورة قرأها عجيف على عليّ بن هشام ، وأنت تقرأها على ، فانظر غداً من يقرؤها عليك .

ثم قدم مازيار صاحب طبرستان فقالوا للأفشين ، تعرف هذا ، قال لا ، قالوا للمازيار تعرف هذا ؟ قال : نعم قد عرفته الآن ، قالوا : هل كاتبته ؟ قال لا ، قالوا للمازيار : هل كتب إليك ؟ قال نعم ، كتب أخوه خاش إلى أخي قوهيار أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك . فإنه بحمقه قتل نفسه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت ، فأبى حمقه إلا أن دلاه فيما وقع فيه فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ، ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس .

فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب والمغاربة والأتراك : والعربي بمنزلة الكلب ، اطرح له كسرة واضرب رأسه بالدبوس ، وهؤلاء الدئاب يعني المغاربة ، إنما هم أكلة رأس وأولاد الشياطين ، يعني الأتراك ، فإنما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ، ويعود الدين

إلى ما لم عليه أيام العجم ، فقال الأفشين : هذا يدعي على أخيه وأخي دعوى لايجب على ، ولو كنت كتبت بهذا الكتاب إليه لأستميله إلى ويثق بناحيتي ، كان غير مستنكر ، لأني إذا نصرت الخليفة بيدي كنت بالحيلة أحرى أن أنصره لأخذ بقفاء وأتى به الخليفة لأحظى به عنده كما حظى به عبد الله بن طاهر عند الخليفة : ثم نحى للمازيار ، ولما قال للمرزبان التركشي ما قال ، وقال لإسحاق بن إبراهيم ما قال ، زجر ابن أبي دؤاد الأفشين فقال : أنت يا أبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك فلا تدعه عاتقك حتى تقتل به جماعة ، فقال له ابن أبي دؤاد : أمطهر أنت ؟ قال لا ، قال فما منعك من ذلك وبه تمام الإسلام ، والطهور من النجاسة قال : أنت في دين الإسلام استعمال التقية ؟ قال بلى ، قال خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت ، قال أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف ، فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب ، وتجزع من قتل قلفة ؟ قال : تلك ضرورة تعنيني ، فأصبر عليها إذا وقعت ، وهذا شيء أستجلبه ، فلا أمن معه خروج نفسي ، ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام ، فقال ابن أبي دؤاد : قد بان لكم أمره يا بغا (يوجه كلامه إلى بغا الكبير أبي موسى التركي) عليك به . فضرب بغا بيده على منطقته فجذبها فقال : قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم ، فقلب بغا ذيل البقاء على رأسه ، ثم أخذ بمجامع القباء من عند عنقه ، ثم أخرجه من باب الوزيري إلى محبسه » .